

2019

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

جمال عناق استاذ مساعد
جامعة العربي التبسي, bis07al40@gmail.com

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/alazhar>



Part of the [Arts and Humanities Commons](#)

Recommended Citation

عناق, جمال استاذ مساعد (2019) "قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي", *Journal of Al-Azhar University – Gaza (Humanities)*: Vol. 21 : Iss. 1 , Article 4.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/alazhar/vol21/iss1/4>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Journal of Al-Azhar University – Gaza (Humanities) by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aar.edu.jo, marah@aar.edu.jo, u.murad@aar.edu.jo.

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

Cover Page Footnote

مجلة جامعة الأزهر- غزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2019، المجلد 21، العدد 1

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء
المغرب الإسلامي

A Critical Reading of Historical Cities and « koussour » of the
Territory Islamic Maghreb Desert

جمال حسين عناق

جامعة العربي التبسي -تبسة-الجزائر

Email:bis07al40@gmail.com

2019/3/18

تاريخ القبول

2019/1/9

تاريخ الاستلام

الملخص:

ظلت معظم الدراسات لموضوع تاريخ وتراث الصحراء في العصر الوسيط مقتصرة على المعطيات العامة الوارد ذكرها في المصادر التاريخية، ولم تلق الحظوة اللائقة وبنفس الكيفية من الباحثين الذين تناولوا مثلاً آثار وتاريخ الصحراء في العصر القديم خاصة وأن خارطة المواقع والمدن في الشمال الإفريقي في العهد الروماني تكاد تكون مكتملة، فيما ظل عدد كبير من المدن والمنازل الوارد ذكرها في كتب المسالك والرحلة العربية مجهولة الموقع والموضع.

وإذا كان المؤرخون قد اعتادوا اللجوء إلى المصادر الأجنبية لاستقاء بعض ما ورد فيها من أخبار المنطقة قبل الفتح الإسلامي، وخصوصاً بعض الكتابات القرطاجية أو الرومانية، فإن الصحراء ظلت خارج دائرة أضواء هذه الكتابات.

الكلمات الدالة: الكتابة التاريخية- الإقليم الصحراوي- المغرب الإسلامي- القصور- الحواضر.

Abstract:

The Most of Our studies of the history and the traditions of Sahara in middle eara used to be particular to general data that were mentioned in the history resources, but it didn't find the same importance from researchers whom talked about ruins and Sahara history in the ancient time, whereas the map of the sits and towns in the east of Africa during Roman time was mostly completed , while a lot of cities and houses that we found in the geographic books, roads and journey were unknown , so it was so important to follow new ways in research methodology which focus on

<http://www.alazhar.edu.ps>

جمال عناق

particularity to attend the general ,based on different approaches in many fields in which we use the science of history and Archeology and Anthropology.

Keyword: Historical writing- The Saharian Territory - the Islamic Maghreb-metropolises

مقدمة:

تعد الدراسات والقراءات النقدية من الأمور والموضوعات الهامة التي تضفي أبعاداً جديدة على مجال الدراسات التاريخية والجغرافية والحضارية، وعلى قلتها، فإن العديد من العوامل أدت إلى غياب كبير للنصوص، والأبحاث التاريخية المرتبطة بدراستها عموماً بتاريخ وتراث المغرب الإسلامي، وتاريخ الصحراء على وجه الخصوص، باستثناء ما ورد في كتب الحوليات والنسابة من معلومات عن قيام دول أو سقوطها أو معلومات عن أصول القبائل الأمازيغية و تحركاتها، وهي معلومات لا يمكن الركون إليها بالنظر للدوافع المتحكمة فيها، فضلاً عن طبيعتها التي تبتعد كل البعد عن منطق الكتابة التاريخية الحقة.

ولأن التحدث عن نشأة القصور الصحراوية واندثارها، هو حديث عن نشأة الإنسان، وأسباب تطوره وتدهوره في السلم الحضاري في هذا المجال الطبيعي الجاف العجيب بتراثه وكنوزه، فقد كان الانتقال من مرحلة القصر أو المدينة التقليدية الصحراوية إلى مدينة "حديثة" تطلب تحولاً جذرياً في البنيات الاجتماعية والنظم التقليدية التي توارثها المجتمع الصحراوي جيلاً بعد جيل؛ وهو في كل ذلك كان محافظاً على تقاليده وعاداته التي تطبع شخصية أفراده وبنياته المركبة في العلاقة بين ما هو ديني، واقتصادي واجتماعي، وثقافي وعمراني، و الذي لعبت فيه العوامل الطبيعية والمناخية دوراً بارزاً في تحديد معالم هويته العمرانية والثقافية. فالمدينة الصحراوية إذن كمجال تشكل من التراث العمراني للقصور والمدن التاريخية، ذات حمولة ثقافية واجتماعية غنية بالرموز والدلالات.

إشكالية البحث:

الإشكالية الرئيسية التي سنتناولها هذه الدراسة إعتدت على طرح هذا السؤال الرئيسي: ماهو الدور الذي تقدمه الكتابة والمصادر التاريخية في فك وحلحلة معطيات ظروف نشأة حواضر وقصور إقليم المغرب الاسلامي الصحراوي؟

كما يأتي التساؤل حول بعض الإشكاليات الفرعية أهمها:

هل بنيت هذه الحواضر لتكون محطات استراحة وإقامة مؤقتة للقوافل التجارية؟ أم بنيت لأغراض شتى مدنية وعسكرية؟ ومن ثمة ماهي أسباب اندثارها واختفاء بعضها بصمت مصدري؟

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

ثم ما هي الأسباب الكامنة وراء عزوف المؤرخين عن تدوين الأخبار؟ وهل ثمة مصادر نصية أو مادية بديلة تمكن من اختراق هذا الصمت المطبق؟

كيف نثمن أهم الطرق المنهجية المساعدة مع أهم المصادر، والمصادر البديلة التي إذا استثمرت بإمكانها أن تساعدنا على فهم وحل مختلف إشكالات تكوين، ونشأة هذه الحواضر والقصور؟.

أهمية البحث:

بالرغم مما أنجز من بحوث ودراسات بخصوص هذا الموضوع الهام، فهي قليلة جداً مقارنة مع ما وصل إلينا من بقايا وآثار هذه الحواضر والقصور المتناثرة هنا وهناك، ويعني بكل بساطة أن نسبة كبيرة لا تزال مجهولة الهوية، لم تحظ بالدراسة التاريخية والأثرية على غرار ما حظيت به نظيرتها في المشرق الإسلامي. لذلك فإن أهمية دراسة موضوع الحواضر والقصور الصحراوية لكونها تمثل النمط الحضري الأصلي الذي وصل إلينا. فقد بقيت منذ الفترة الوسيطة وعلى امتداد الفترة الحديثة أهم المراكز الحضرية بالمجال الجغرافي سواء بالنسبة للمغرب الأوسط أو المغرب الإسلامي بصفة عامة.

بالإضافة إلى أن هذه القصور تبدو فيها الجوانب الدينية والاجتماعية والسياسية والزراعية ومن ورائها نظام الري مرتبطة إلى حد بعيد مع بعضها البعض، فالجانب الديني (الزوايا، المرابطين، الأشراف) مرتبط بالجانب الاجتماعي وكذلك الجانب السياسي اللذين يعالجان -كوحدة متكاملة- موضوع الأشراف أو ذوي النسب الشريف من حيث التبعية والولاء طبقاً للإرث التاريخي، أما نظام الري فيمثل الانقسام الحقيقي للنظام الاجتماعي لسكان الصحراء، والمكانة الاجتماعية والاقتصادية لكل شخص يملك قطعة أرض مروية أو مسقية على اعتبار أن ركائز العمران هي البنية الاقتصادية المستندة على الزراعة المسقية بالواحة والتجارة الصحراوية.

أهداف البحث:

يعتبر رسم القصور القديمة أحد الأهداف الرئيسية لإعادة بعث التراث الصحراوي وإحيائه من جديد، لما له من أهمية عظمى في معرفة التخطيط العام للمدينة الصحراوية في القديم، والتي لها خصوصياتها العمرانية التي تشكل رمزاً للهوية والانتماء، ما يجعل دراسة القصور كعمارة وعمران تعني دراسة مجالات عمرانية وظيفية في تلك الحقب التاريخية ومدى استمراريتها جيلاً بعد جيل كنموذج مجالي حيوي لا يزال تأثيره الحضاري المتميز مستمراً إلى يومنا هذا.

منهجية الدراسة:

في ضوء مراجعة الباحث للمناهج المختلفة والأكثر تداولاً في معالجة الظاهرة التاريخية الشبيهة بموضوع البحث وطبيعة المشكلة البحثية التي تطرقنا إليها إرتكزت هذه الدراسة كمرحلة أولى على طرق جديدة في البحث التي تتطرق أولاً من الجزئية النصية التاريخية لاستقرائها، ونقدها

جمال عناق

ومقارنتها مع الظاهرة الحاصلة لمعرفة سيرة الظاهرة التاريخية، معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي التي اعتمدنا عليها في نقد مختلف النصوص التاريخية والنوالية والأثرية للوصول إلى تحقيق الغرض من هذا البحث، مع الاستعانة بمقاربات متعددة الاختصاصات تحاول أن تزوج بين علم الآثار والتاريخ و الأنثروبولوجيا.

خطة البحث:

وبناء على ذلك تم تقسيم البحث الى عدة مباحث وهي:

المبحث الأول: عوامل نشأة الحواضر والقصور الصحراوية.

المبحث الثاني: أسباب ندرة المعلومات المتعلقة بتاريخ التراث الصحراوي القديم.

المبحث الثالث: نقد للمصادر العربية.

المبحث الرابع: نقد للمراجع العربية والأجنبية.

وأخيراً رصد لأهم نتائج هذا البحث وتوصياته.

وسيتناول هذه المباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: عوامل نشأة الحواضر والقصور الصحراوية:

برزت الحواضر الصحراوية كبنوة انصهرت فيها مؤثرات حضارية، عربية وبربرية وسودانية. ولا يخفى على الدارسين دور العاملين الطبيعي والتجاري، حيث أدبا دورا مهما في نشأة القصور التي هي عبارة عن تجمع سكاني يشكل لنا ناحية أو بلدة تضم مجموعة من العمائر، تتمثل في المباني السكنية و الواحات والقصبات وموارد السقاية.

1-العامل البيئي والطبيعي:

لقد كانت للمعطيات البيئية الجغرافية والطبيعية أثر كبير في تشكيل وتوجيه القصور والواحات بهذا الإقليم، وذلك بتنفيذها في مواضع مختارة حسب طبيعة الأرض وبمراعاة العوامل المشجعة على الاستقرار وخصوصا أن جل الحواضر الصحراوية إنتهت إلى العنصر الحيوي المتمثل في الماء ، الذي هو الركيزة الأولى لأي اجتماع عمراني(ولد ابيه احمد:2009،163) وبالنظر لقلّة وندرة مياه الأمطار، والتي لا تكفي لسقي وري الأراضي الزراعية ورغم أن الأودية والجدول المائية قليلة وشديدة الجريان شتاء، وفجائية وتجف تماما في الصيف، لذلك فقد لجأ ساكنة الصحراء إلى اتخاذ بعض الإجراءات اللازمة لتخزين مياه الأمطار، والاستغلال الأحسن لها وتحويلها إلى إنتاج عن طريق توجيهها إلى صهاريج للحفظ، فاستحدثت آبارا داخل الأسوار تحسبا لعوادي الزمن. بالرغم أن المصادر الجغرافية و التاريخية لم تزودنا بمعلومات كافية حول أسماء الآبار، ومواقعها وطرق استغلالها في الفترة الإسلامية فإن هذه المعلومات التي زدنتنا بها المصادر حول عنصر الشبكة المائية في بلاد المغرب الإسلامي عموما، لا تتجاوز بعض الإشارات العابرة

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

التي يتكلم فيها الرحالة أو الجغرافيون إلى وجود قنوات وصهاريج أو جباب أو مواجل، عند وصفهم لأهم المدن أو القرى أو التجمعات السكانية الصغيرة. مثل ما يذكره ابن خلدون حول حاضرة سجلماسة وقصور تيكورارين (...فمنها على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة وتسمى توات مستبحر في العمران وهو ركاب التجار...من المغرب الى بلد مالي من السودان.... وعلى عشر مراحل منها قصور تيكورارين وهي كثيرة تقارب المائة في بسيط واد منحدر من الغرب الى الشرق...) (ابن خلدون: 2000، 76-77) واما ابن بطوطة فقد ذكر إقليم توات عندما تحدث عن بودة حيث قال: (ثم وصلنا الى بودا، وهي من اكبر قرى توات، وارضها رمال سباح...ولا زرع بها(بسبب ندرة الماء) ولا سمن ولا زيت....واقمنا ببودا اياما) (ابن بطوطة: 2002، 706) لذلك يعتبر المعطى المناخي محددا مهما في تحديد ملامح حياة المجموعات البشرية من حيث استقرارها وتفاعلها مع محيطها إرتباطا بعنصر الوفرة المائية وندرته.

(2) العامل البشري:

يظهر هذا العنصر بتأثيره الكبير في توزيع القصور، حسب العرف الاجتماعي السائد في هذه الأقاليم الصحراوية حيث يبدو لنا من خلال الملاحظات في الميدان أن لكل قبيلة في الإقليم موضعها أو ملكها الخاص، والذي لا تستغله قبيلة أخرى إلا بإذن ملاكها، فقد كانت القصور تحمل اسم قبائل كما كانت هناك أيضا بساتين وفاقير و نواحي تحمل هي الأخرى اسم القبيلة أو العرش بأكمله، وبالتالي فلها وحدها حق الاستغلال والإقامة بالديار والرعي والحرث بالبستان أو من سمحت له بذلك.(أحمد مزراق: 2008، 64/2009-65)

(3) -العامل التجاري:

كان للتجارة دورا كبيرا في الاستقرار بالإقليم، وفي تشييد العمارة والعمران، وذلك بفضل حركتها النشطة، حيث تعد التجارة من العوامل التي استقطبت الوافدين إلى الإقليم جماعات وفرداى من كل الجهات والأجناس والاستقرار به وتشكيل مجتمع هجين يدين بالإسلام لذلك فإن ظهور هذه الحواضر.

ولأنها تمثل الاستثناء الحضري الوحيد الذي ظهر بهذا المجال البدوي كنتيجة لازدهار تجارة القوافل، وإن كانت التقاليد الشبه الحضرية المرتبطة بالاستقرار التجاري ظلت تنوء بإرث البداوة ولم تتخلص منه، بل زاوجت بين أنماط عيش مجموعتي الرحل والمستقرين، وهي نفس المزوجة التي كانت قد قامت على أسسها أنماط الحياة الحضرية بالنسبة إلى الإسلام المبكر(ولد أيده: 11). 27: (PlanhoL.1968).بيد أن ثقل الإرث البدوي بهذا المجال الصحراوي شكل عائقا جديا حال دون قيام حواضر مستبحة في العمران. بالرغم أن الفضل الكبير في ازدهار مختلف الحواضر

جمال عناق

والقصور الصحراوية في مراحل لاحقة يعود إلعمال التجاري في بلاد المغرب فحسب رأي (Masqueray Emile) "فجلهم-التجار- آنذاك من الخواارج الذي اعتبر أن مجموعات الخواارج التي تنتمي إلى قبائل صنهاجة وزناتة ببلاد المغرب صفرين كانوا أو إباضيين هم عمارة الصحراء". حيث لا توجد واحات ولا حواضر في الصحراء، إلا أنهم يرجع لهم الفضل في تأسيسها (Masqueray Emile 1927.297)، وفي نقل وانتشار مؤثرات من ثقافة الشمال إلى الصحراء جنوبا، وهذا أيضا ما توصل إليه المستشرق الألماني (Joseph Schacht) في بحثه عن الأثر الإباضي في إفريقيا أن يحدد مسارهم إلى جانب الصوامع الهرمية والمحاريب المستطيلة التي تتميز بها مساجدهم، وتوصل إلى أن إفريقيا السوداء لم تتأثر بالناحية المعمارية فقط، بل استدلت بذلك على تواجد المذهب الإباضي قبل غيره من المذاهب لدى شعب الببال والكانوري (بوعصابة عمر سليمان. 1992: 61). بالإضافة إلى ما اكتشفته الحفريات الأثرية بمواقع حاضرتي أودغشت وغانه وكومبي صالح، المندثرتين من خلال ماعثر عليه من عناصر الثقافة المادية، وهو ما تجلى أيضا فيما وصل إلينا من أنماطها المعمارية، فقد كشفت العديد من الدراسات على أوجه التشابه بين أنماط معمارية، في منطقة نوات ووادي ميزاب بصحراء الجزائر مع شبيهاتها في قصور ولآته وودان وشنقيط وتيشيت بموريتانيا.

وعليه، يعود الفضل في هذا التمازج الحضاري إلى ما حملته تجارة القوافل من مؤثرات ثقافية وحضارية، إلى داخل حواضر الساحل الصحراوي، وبذلك أصبح معروفا لدى المؤرخين على مدى فاعلية المسالك التجارية الصحراوية، التي تعتمد في محطات راحتها على تواجد نقاط الماء في مختلف الواحات الصحراوية ومدى أهميتها كشریان اقتصادي وحضاري حيوي فيما بين هذه الحواضر، مثل المسلك الذي يربط سجلماسة بوارجلان، والجريد ونفاوة وصولا إلى جنوب أفريقية، فقد جعل هذا الطريق منذ نهاية القرن (02هـ وبداية القرن 03هـ)، نهاية القرن (08م و09م)، حاضرة وارجلان ذات أهمية تجارية كبيرة، مع بلاد السودان. ومن المحطات الواقعة على هذا المسلك نجد وادي سوف، أريغ أو توقورت (محمد حسن. 1999: 290). وثمة طريق ثان رابط بين المدينتين، ذكره (البكري): "من تاهودة إلى بادس ثم قيطون بياضة" (البكري أبو عبيد، 2003: 257). ومنها نصل إلى وادي سوف وورغلة (أو وارجلان) في بلاد السودان.

وهكذا يمكن القول بأن عراقة تاريخ الإقليم وأدواره الاقتصادية والعلمية، والدينية وتعدد المشارب العرقية والحضارية لسكانه، كلها عوامل مجتمعة بالإضافة إلى العوامل الطبيعية، قد ساهمت في إعطاه رصيدا تراثيا مهما ومتنوعا شاركت جميعا في نشأة وتنمية هذا الإقليم.

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

المبحث الثاني: أسباب ندرة المعلومات المتعلقة بتاريخ التراث الصحراوي القديم:

إن دراسة هذا العنصر لا يطرح إشكالية واحدة بل يطرح إشكالات عدة، فالإشارات الواردة ضمن المصادر العربية في الفترة الوسيطة، حول حواضر ومعالم التراث الصحراوي لا يمكننا من إعادة بناء وتركيب تاريخ هذه الحواضر ومعالمها الأثرية والتاريخية . فتلك الإشارات يعوزها الكثير من الدقة لعدم تمكننا من بناء مشهد كامل للحياة بتلك الحواضر في العصر الوسيط، ولأن التأريخ المحلي له أهمية قصوى في عملية إعادة كتابة التاريخ الوطني، وذلك لما توفره الدراسة المونوغرافية المحدودة في مجالها الزمني والمكاني، من إمكانية التحري المجهري حول الأحداث والوقائع التي عاشتها المناطق والجهات المختلفة من البلاد، والكشف عن حقيقة مجرياتها، والتعمق في دراسة مختلف التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتتها هذه المناطق، وهو أمر لا محالة، أنه سيمكن من تجاوز الأحكام الجاهزة، والتعميمات المفرطة التي تسبج فيها الدراسات التاريخية التي تتناول التاريخ العام للمغرب الإسلامي بالرغم أن الكتابة التاريخية المحلية، والمتعلق موضوعها بتاريخ الصحراء وحواضرها على وجه الخصوص، تواجهها العديد من الصعوبات والعوائق التي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- 1- عدم انتشار الكتابة، خلال العصور القديمة، بشمال إفريقيا على نطاق واسع، وذلك لأن الاحتلال الروماني أجهض تطور تجربة الممالك الأمازيغية القائمة، مما حال دون تطور نظمها الإدارية والجبائية التي قد تكون مدعاة لانتشار الكتابة.
- 2- إذا كانت هذه المرحلة قد شهدت بالفعل استعمال حروف تيفيناغ- وإن على نطاق ضيق- فإن هذه الحروف سرعان ما تم إهمالها لأسباب عقّدية، ترتبط بانتشار الدين الإسلامي ومعه اللغة العربية، مع الموقع المركزي الذي احتلته هذه الأخيرة بالمنطقة لأسباب سياسية وإدارية، وكذا باعتبارها لغة مقدسة.
- 3- رغم أن تاريخ المغرب الإسلامي لقي اهتماما من طرف المؤرخين المسلمين، فإن هؤلاء أهملوا تتبع أخبار المنطقة في الفترة السابقة على الفتح، باعتبارها فترة شرك وجاهلية مذمومة، وكذا لما قد يثيره الحديث عن هذه الفترة من حساسيات من شأنها أن تهدد رابطة "الأخوة الدينية" التي بنيت عليها علاقات العرب الفاتحين بالشعوب المفتوحة(نور الدين صادق).

لقد أدت الصعوبات والعوائق التي ذكرناها آنفا إلى غياب مطلق للتدوين التاريخي عن هذه المرحلة من تاريخ المغرب عموما وتاريخ الصحراء على وجه الخصوص، سواء بالأمازيغية أو بالعربية باستثناء ما ورد في كتب النسابة من معلومات عن أصول القبائل الأمازيغية وتحركاتها،

جمال عناق

وهي معلومات لا يمكن الركون إليها بالنظر للدوافع المتحكمة فيها، فضلا عن طبيعتها التي تبتعد كل البعد عن منطق الكتابة التاريخية الحقّة.

وإذا كان المؤرخون قد اعتادوا اللجوء إلى المصادر الأجنبية، لاستقاء بعض ما ورد فيها من أخبار المنطقة قبل الفتح الإسلامي، وخصوصا بعض الكتابات القرطاجية أو الرومانية. فإن الصحراء ظلت خارج دائرة أضواء هذه الكتابات بدورها، فالقرطاجيون اهتموا أساسا بالمراكز والمدن الساحلية في إطار نشاطهم التجاري البحري، في حين أهملوا المناطق الداخلية. كما تركز اهتمام المؤرخين الرومان أساسا على المناطق الخاضعة لنفوذهم المباشر الذي لم يتجاوز "خط الليمس Limes"، نظرا لضراوة المقاومة الأمازيغية، وبما أن الصحراء ظلت بعيدة عن دائرة الاحتلال الروماني، فإنها ظلت كذلك بعيدة عن اهتمام المؤرخين الرومان (العروبي، 2007: 58-68). ماشكل عائقا جوهريا أمام تطور البحث في تاريخ الحاضرة الصحراوية، وحال دون تكوين تصور علمي عن مرحلة التاريخ القديم بها (نور الدين صادق). ورغم أن اسم القصور والمسالك بدأ يتخلل كتابات مؤرخي العصر الوسيط وحتى الحديث، فإن الكلام عنها كان يتم عرضا لا غرضا، وما أبعد الحديث العارض عن استيفاء التفاصيل، وترتيب الوقائع، وتفسير الأحداث... وظلت المعلومات الواردة عنها في كتابات المؤرخين التقليديين المغاربة - إضافة إلى تقطعها واختصارها للذين تقتضيهما الاختيارات المنهجية - مطبوعة بنوع من الانتقاء الشديد لما ينبغي ذكره أو ما يجب التغاضي عنه من أخبارها، وهو انتقاء لا يجد مبرره إلا في المواقف السياسية والمذهبية لهؤلاء المؤرخين من التطورات التي عرفتها القصور عبر تاريخ طويل، ومن ثمة كان صخب الأحداث التي عاشتها غالبا ما يترجم إلى صمت مطبق في كتابات المؤرخين، وهو ما خلق تناقضا صارخا بين حقيقة الدور الذي لعبته المدينة في تاريخ المغرب الإسلامي من جهة، والحيز الذي تحتله في كتابات المؤرخين من جهة ثانية (عمارة علاوة، موساوي زينب، 2010: 63-64).

يمكننا إجمال العوامل المسببة لهذه الوضعية إلى عامل مهم ورئيس، هو العامل المنهجي، الذي يرتبط بنظرة مؤرخي المغرب الإسلامي التقليديين لعملية التأريخ، فهو لا يهتم إلا بتحركات الشخصيات "الرئيسية" التي يعدها صانعة للأحداث وفاعلة فيها، فيكتب تاريخه منتبعا هذه التحركات. ومن ثم فإننا نجد هذا المؤرخ في نهاية المطاف لا يكتب سوى تاريخ شخصيات نافذة، وسلالات حاكمة، وعواصم متعاقبة. كما أن اهتمامه بتعقب الأحداث السياسية البارزة يبعده عن الالتفات للوقائع الاقتصادية والاجتماعية، والوقوف عندها بما يكفي من الدقة والتمعن، وبما أن تلك الشخصيات عادة ما تستقر بالعواصم، فإن هذه الأخيرة تستأثر في الأغلب الأعم باهتمام المؤرخ، الذي عادة ما لا يعير انتباهه للمناطق البعيدة عن المركز (العاصمة) إلا من خلال ما تمليه تحركات شخصياته "الفاعلة" على مسرح البلاد، ولا يؤرخ لها إلا من خلال "حركة" لردع تمرد قبلي أو

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

لاستخلاص الجبايات... وهكذا ظل تاريخ الأقاليم الصحراوية بعيدة عن أن تسترعي اهتمام المؤرخين الذي ظل موجهاً أساساً نحو الحواضر الكبرى كالقيروان و تلمسان و مراكش وفاس.... رغم ذلك لا يستطيع الباحث أن يستغني عن هذه المصادر بسبب ما تحمله من معلومات وإن كانت قليلة وعامة. وأن يستجد بمصادر أخرى ككتب الطبقات والتراجم وكذا كتب الفقه والنوازل، والاستتجاد بالمصادر الأثرية وغيرها... وهذا ما سنراه فيالمبحث الثالث من خلال نقدنا لهذه المصادر والمراجع المختلفة.

المبحث الثالث: نقد للمصادر العربية:

1- كتب الحوليات:

تفاوت أهمية المعلومات التي تسعفنا بها المصادر العربية، لدراسة موضوع تاريخ وتراث الصحراء، وأقدمالإشارات نرصدها لدى المؤرخين الأوائل، والذين اهتموا بأخبار المشرق الإسلامياًكثر من اهتمامهم بالمغربالإسلامي. ولم تتناول مظاهر التمدن والتعمير إلا عرضاً، أثناء رواية أخبار الملوك والعلماء والمعارك. ومثال ذلك لا الحصر كتاب "فتوح مصر والمغرب والأندلس" لأبن عبد الحكم(ت257هـ/871م)(ابن عبد الحكم،2001)، و اليعقوبي(ت284هـ/897م). (اليعقوبي، دون تاريخ). رغم ذلك -كما قلنا- لايمكن للباحث المهتم الاستغناء عنها،وأهم هذه المصادر المشرقية، ترجع إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين، فيما لانكاد نعثر على مؤلف مغربي راجع إلى تلك الحقبة، هذا إذاما استثنينا كتب الفقه مثل مدونةسحنون(ت240هـ/854م). (سحنون بن سعيد، 1986: ج3) وبكل أسف، ضاعت أهم الكتب التاريخية والجغرافية الخاصة بتلك الفترة وأهمها: كتاب المسالك لمحمد بن يوسف الوراق(ت363هـ/974م) ومؤلفات ابن الجزائر(ت395هـ/1005م) في المغازي والتاريخ، وخصوصاً تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق (الرقيق القيرواني، 1994) (ت بعد سنة 418هـ/1027م)الذي كان مصدراً لجل المؤرخين اللاحقين، وبالتالي لامناص من اعتماد نصوص متأخرة، سواء أكانت مشرقية مثل الكامل لابن الأثير (ت630هـ/1233م)، أو مغربية مثل"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى المراكشي(ت بعد712هـ) تناول فيه تاريخ المغرب منذ الفتح الإسلامي رغم اهتمامهما بالجانب السياسي أكثر من أي جانبآخر(ابن عذارى المراكشي، 1983)وأما كتاب" المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد المراكشي فقد تضمن معلومات قيمة عن أقطار المغرب و أفريقية وبلاد الجريد والزاب، ويشير كذلك إلى بعض المدن الصحراوية مثل بسكرة ومراكش (عبد الواحد المراكشي. 1889: 252 إلى 263)ومن مشاهير هؤلاء المؤرخين ابن خلدون(722-808هجرية) الذي يعتبر تاريخه من المصادر المهمة التي نستفيد منها في دراسة الموضوع خاصة في مقدمته التي تعتبر مصدراً غنياً بالأخبار، والمعلومات التي تيسر السبيل أمام

جمال عناق

الباحثين، فزيادة على ما تتضمنه من فلسفة التاريخ و التنظير لعلم العمران البشري، فقد احتوت على موضوعات شتى تخدم العمارة و العمران الصحراوي. كمواد الإنشاء وأساليب البناء وأسماء القصور والمدن والمسالك وغيرها، والتي اظهر من خلالها قراءاته العميقة لتاريخ العمران (ابن خلدون عبد الرحمن. 2000. :147-148) وهذا من خلال تناوله بالإجابة عن ثلاثة أسئلة هامة:

أولاً: لماذا كانت المدن قليلة بالمغرب؟

ثانياً: لماذا يسرع الخراب إلى المدن المغربية؟

ثالثاً: ما العلاقة بين المدينة وانقراض الدولة المؤسسة لها؟

(ابن خلدون عبد الرحمن. 2000. :149) إنها أسئلة طرحها ابن خلدون، وأجاب عنها بما يمكن من فهم لميكانيزم عمران المدن المغربية، والعوامل المتحركة فيها (بوتشيش عبد القادي، 1994: 127). إن مثل هذه الأسئلة تسمح لنا بتفسير مختلف الظواهر العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، وتفسح المجال لتطوير آفاق البحث حول المدن المغربية.

وأما عن تاريخه في كتابه: "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" ركز على ذكر أسماء القبائل الصحراوية، وأماكن انتشارها وتوزعها وعلاقاتها التجارية والاقتصادية، وذكر الأقاليم والمسالك التجارية رغم أن ابن خلدون في تاريخه أظهر قلة اهتماماً بأخبار بلاد السودان خاصة في القرون الإسلامية الأولى، وتركيزه على القرون المتأخرة ضمن مختلف الأجناس والأمم. (ابن خلدون ، 2000: (ج06-07) 585 . 03).

(2) - كتب المسالك والرحلة:

إن الأوصاف الجغرافية التي قدمها الجغرافيون الأوائل لبلاد المغرب اتسمت بالشمولية والعمومية فيما يخص ذكر أخبار تراث الصحراء، فما عدا أفريقية التي استطاعوا معرفة مسالكها وأخبارها وشبكتها العمرانية بصفة جيدة، امتازت أوصافهم لباقي جهات المغرب بالشمولية. فهم اعتمدوا على رؤيتهم لهذه البلاد كمناطق شاسعة يسكنها البربر ومدى ارتباطهم بالإسلام وما هضمتهم للخلافة بالمشرق. ولم ينته القرن العاشر الميلادي حتى وجدناهم قد وضعوا أدب جغرافي هام، زودونا من خلاله بالكثير من المعلومات المهمة الخاصة بمنطقة المغرب الإسلامي (بن قرية صالح وآخرون. 2007: 207) وقد قدمنا هذه الكتب فصولاً عن العمران والاقتصاد، والمجتمع والثقافة، واختلفت دقتها ووضوحها من مصدر إلناخر، وتقاطع فيها الواقعي مع الانطباعي، ويعتبر كتاب "المسالك والممالك" لصاحبه ابن خرداذبة (ت حوالي 272هـ/885م) من أقدم كتب الجغرافية والذي ألفه سنة (232هـ/846م) إلا أن اهتمامه بالمشرق كان أكثر من المغرب، ومع ذلك فقد أورد ذكر مشاهير مدن المغرب، والمسافات بينها، ووضع حدوداً لدوله (ابن خرداذبة. 1889: 84-93) ويجدر الذكر أن ابن خرداذبة لم يزر يوماً بلاد المغرب، لكنه كانياً أخذ هذه الأخبار من التقارير والتجار

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

والمسافرين، وفي سنة 276هـ/889م صنف أبو العباس أحمد اليعقوبي (ت284هـ/897م) كتاب البلدان ويبدو أنه أول من أفسح مجالاً عند ذكره بلاد المغرب الإسلامي، فذكر المدن ووصفها، وتتبع الطرق وحددها، وأشار إلى اتصال بلاد المغرب ببلاد السودان عن طريق سجلماسة "أن يسير في مفازة وصحراء مقدار خمسين رحلة..." (اليعقوبي، دون تاريخ:199) ورغم معلوماته المقتضبة حول الصحراء إلا أنها مهمة، خاصة وأن كل معلوماته التي أوردها هي نتيجة المشاهدة والمعينة. جعلنا هذه الأخبار -على الرغم من محدوديتها الوصفية- نجري مقارنة بين أحوال المدن في عهده، مع التي ذكرها غيره من الجغرافيين من بعده. ففي القرن الرابع الهجري ازدادت الأمور وضوحاً، خصوصاً مع كتاب "صورة الأرض" الذي ألفه ابن حوقل (ت367هـ/977م) سنة (378هـ/988م)، الذي يعد من الجغرافيين العرب الذين جالوا في البلاد وأعطوا لنا معلومات وصفية عن الكثير من مدن المغرب، ومن ذلك ما جاء في قوله "هذه جملة أحوال المدن المشهورة والمراسي والقرى المعروفة على نحو بحر المغرب حد برقة إلى البحر المحيط، مما انتهت إليه وأدركته بالعيان وأخذته عن نشأ فيه" (ابن حوقل النصيبي، دون تاريخ:83). تعتبر شهادة ابن حوقل حول حواضر الصحراء أحد الشهادات المهمة التي تخدم الموضوع، بالإضافة إلى كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي (336 هـ-380 هـ)، وقد كان هو الآخر شاهداً عياناً لتطور المدينة المغربية في القرن الرابع الهجري مع يتميز به كتابه من وصف جيد مع ذكر للعجائب والمسافات (المقدسي، البشاري، 1991: من ص 244 إلى ص 248). مع تركيزه على أهم حواضر المغرب كالقيروان وتاهرت وسجلماسة (المقدسي، البشاري، 1991: ص 218 إلى 224) ويظل كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري وهو جغرافي أندلسي (ت487هـ/1094م) أهم هذه المصادر والنصوص، وأكثرها دقة، في هذا المجال. بالرغم من كونه لم يبرح قرطبة، فقد كان شاهداً بواسطة التجار، والإخباريين القادمين من الجنوب على ازدهارها. وذلك لاعتماده على كتاب المسالك لمحمد بن يوسف الوراق السالف الذكر، الذي يعد من الكتب الضائعة. ورغم أهمية هذا الكتاب إلا أن معلوماته قد تكون عامة وموجزة ومختصرة إلى حد الإخلال بحيث لا يقبل إلا الاسم وخاصة في أخبار المغرب، وقد نجد الإطناب لما يصف بلاد الصحراء وغانا وأودغشت. ولقد انتهى البكري من تأليف كتابه المسالك حوالي 460هـ/1067م. ورتبه وفق عناوين جزئية ذات علاقة بالموضوع، واستعمل أسلوباً بسيطاً يحمل طابع المؤرخ المتمكن، رغم ما يتخلله من استخدام لبعض المفردات الدارجة (البكري، 2012: 26). ومع أن الشريف الإدريسي (ت560هـ/1164م) في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" قد أعاد بعض المعلومات الواردة لدى البكري إلا أنه أمدنا بمعلومات هامة وجديدة حول موضوع التجارة والمسالك التجارية وتغيرها ما أدب إلى ظهور مدن وانقراض مدن أخرى وهذا من خلال تعاظم الوظيفة التجارية بين الحواضر الصحراوية في تلك الفترة (الإدريسي، 1989: 1، م2).

جمال عناق

وأما كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول (كاتب مراكشي عاش في القرن 12هـ/12م) فيعد مصدرا هاما جدا، لأن مادته متنوعة جغرافيا و تاريخيا و أثريا، كما يحتوي على معلومات دقيقة وأخبار هامة خاصة فيما يتعلق بوصف المدن و ما يتصل بها من حركة و حياة و نشاط. ومع ذلك نستطيع القول أنه أخذ الكثير عن البكري والإدرسي في استقاء بعض أخبار هذه المدن (مؤلف مجهول (كاتب مراكشي) ، دون تاريخ: 174) وبالنسبة لكتاب معجم البلدان لمؤلفه ياقوت الحموي (المتوفى: 626هـ) وكما قال ناشره، فكما أن لسان العرب معجم لغوي، فمعجم البلدان معجم جغرافي، لا يمكن للرحالة والعلماء الاستغناء عنه لما يبينه لهم من مواقع من بلدان ومدن وقرى وجبال وبحار وأنهار وأودية (ياقوت الحموي، 1977.المجلد 1، : ص05).

أما عن كتاب "الجغرافية" لابن سعيد المغربي (المتوفى 685هـ) فيتضمن معلومات قيمة عن بعض الحواضر الصحراوية خاصة منها التي تقع في الشرق، والغرب لعل أهمها مدينة ورجلان إذ يعطي أوصافا دقيقة وعلى أهميتها كمركز تجاري وثقافي، ودورها في العلاقات بين جنوب شرق المغرب الأوسط و بلاد السودان وعن بلاد الجريد في حر هوائها وكثرة نخلها وهي مدن كثيرة وأنظار واسعة وعمائر متصلة، فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة (" ابن سعيد المغربي، 1970: 126). وأما ابن فضل الله العمري (ت749هـ/1349) في كتابه: "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" والذي أعطانا تعريفا حول مصطلح "الشريف" (بن فضل الله العمري، 2002: 368) يعد من أفضل المصادر، التي تكلمت عن تاريخ ممالك السودان الغربي (" بن فضل الله العمري، 2002: 107) وأهم المدن والمسالك التجارية، (" بن فضل الله العمري، 2002: 144-146) وكتاب موسوعي، تناول فيه صاحبه مسائل جغرافية وتاريخية وبعض السير والتراجم وأفاد أيضا في ذكر المعادن والنبات والحيوان فضلا عن الفرق الدينية. وفي المجمل فصاحب المسالك لا يخفي اعتماده على المخبرين كابن حوقل وابن سعيد أو السلاجي في كتابه، (" بن فضل الله العمري، 2002: 210-214).

وأما كتاب الجغرافية للزهري الذي توفي حسب قول محقق كتابه بعد 541هـ/1154م وقبل 556هـ/1161م، وأنه عاصر الإدريسي وأبي حامد الغرناطي. وفي كل ما كتبه كان معتمدا أولا على مشاهداته الشخصية، وعلى ما سمعه من معاصريه، الذين سجل بعض أسمائهم دون تعريف، وعلى بعض الفلاسفة والحكماء والمؤرخين دون ذكر أسمائهم، ورابعا على أعلام مشاهير ذكر من بينهم أرسطو والفرزاي والمسعودي وأبا بكر الرازي وابن الجزار وابن حيان والعذري لاغير. ويبدو أن الزهري عند اقتباسه عنهم يكتفي بالمعنى دون المبنى وكأنه يروي ما علق بحافظته لا ما هو مكتوب أمامه (الزهري، دون تاريخ. مقدمة تحقيق الكتاب. ص: ز-ح) وقد قسم كتابه إلى أجزاء والأجزاء إلى أصقاع، ورغم أن كتابه جاء دقيقا في الوصف لكنه كان مختصرا في ذكر مدن و خطط المغرب

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

الأوسط في العموم، ولم يذكر إلا بعض مدنه كتيهت ووارجلان وتلمسان باقتضاب شديد. ومع ذلك فإن كتابه يحوي معلومات جغرافية وتاريخية لا يستهان بها. وما تبقى من جغرافيين ورحالة كالحميري (ت726هـ/1326م) في كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار (الحميري.1984: انظر مقدمة المحقق) وهو معجم جغرافي مرتب على حروف الهجاء. التزم فيه الإيجاز في أحابن كثيرة، كما تناول فيه وصف المدن، وتسجيل كل ما يهم الموضع والموقع الفلكي و الجغرافي ، وإعطاء صورة مختصرة عن حياتها وما تشتهر بها كل مدينة على حدة. وقد كانت المعلومات التي أوردها مجرد اجترار لمن سبقوه كالبكري والإدرسي وصاحب الاستبصار. ورغم ذلك فقد حاول صاحبه أن يدخل مفهوم المتعة والعبرة. ولا يمكن لدارس مواقع المدن الاستغناء عنه. وأما عن كتاب تقويم البلدان لأبي الفدا (ت732هـ) ورغم اعتماده الصريح على بن سعيد المغربي إلا أن طريقة عرضه لهذه الأقاليم كانت طريقة مبتكرة تسهل على المطلع أن يستوعب بسرعة واختصارا للوقت في أن يأخذ فكرة عن هذه الأقاليم (ابو الفدا عماد الدين.1840: 137 وما بعدها). وتعد الرحلة المسماة: "تحفة النظر في غرائب الأمصار" التي كان الفراغ منها سنة756هـ/1355م للرحالة الشهير محمد بن عبد الله الطنجي، الشهير بابن بطوطة الذي ولد عام (703هـ/1304م-ت سنة779هـ-1380م) من أهم الرحلات العالمية، ومصدرا من أهم المصادر التاريخية والجغرافية، في حياة الأمم الشرقية في القرون الوسطى. حيث يجد الباحث معرضا مهما لحياة الأمم وأحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ووصف المدينة من كل نواحيها وأرباضها ووصف آثارها ومعالمها (ابن بطوطة،2002) وبالنسبة لكتاب وصف إفريقيا، للحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت960هـ/1553) وهو من أهم كتب الجغرافيا التي توفر لنا معلومات قيمة حول موضوعنا. وترجع أهميته كونه زودنا بمعلومات غاية الأهمية في الجزء الثاني من القسم السادس، لما ابتدأ حديثه عن نوميديا وإقليم الزاب وبلاد الجريد وصحاري ليبيا ثم في القسم السابع الذي أفردته للتحديث عن بلاد السودان (الحسن الوزان الفاسي 1983. ج 2 من القسم 06 و07) وفي الجملة فإن هذه المصنفات التي كان أصحابها موتقين بارعين أو شاهدي عيان، أعطتنا فكرة عن الأحوال والعمران وتبحره أو تقلصه أو عن الاجتماع والاقتصاد والمسالك، ورغم غلبة الجانب الوصفي إلا أنها تميزت بالدقة في الغالب، وذلك مقارنة مع كتب الرحلة المؤلفة في الحقب القادمة والتي تغلب عليها الانطباعية والاهتمام بالجانب الثقافي والفكري فقط.

(3)-كتب الطبقات والتراجم:

رغم أن هذه المصنفات مخصصة لتراجم الأعلام إلا أنها تعد مكملة للمصادر التاريخية بما تحويه من معلومات مفيدة. لرصد سكان المدن وأسمائها ومن خلال بعض المقاربات لهذه المؤلفات.

جمال عناق

قد نرصد منها بعض ما يفيد البحث في شتى الأغراض التاريخية. وحسبنا أن نذكر أهمها، وهي على التوالي:

كتاب "طبقات علماء إفريقية وتونس" لأبي العرب. (ت333هـ/945م) فهو يعتبر من أقدم الكتب التي وصلتنا ويحتوي على قائمة بأسماء العلماء و الفقهاء، حيث ذكر موقف المالكية من الفرق الإسلامية، ومن خلاله نستطيع التعرف إلى بعض أسماء المدن الصحراوية في معرض حديثه عن أماكن نشأة العلماء و الفقهاء و رحلاتهم (أبي العرب. دون تاريخ: 98)، وكذلك بالنسبة لكتاب رياض النفوس لأبي بكر المالكي (المالكي، 1983: ج 1، 2، ق05هـ)، ومدارك القاضي عياض (ت544هـ/1149م) (القاضي عياض، 1998). وغيرهم كثير... ورغم المعلومات التي قدموها على قلتها يمكن أن تضاف إلى ما عثر عليه من معلومات هنا وهناك، مما يساعد على رسم صورة تقريبية للعلاقات المذهبية والتجارية السائدة في تلك الفترة.

4- كتب الفقه والنوازل:

بدأ المغاربة منذ القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، يهتمون بتدوين النوازل و الفتاوى الفقهية، وقد بلغ هذا الاهتمام ذروته في القرنين التاسع و العاشر الهجريين، و النوازل مصادر مفيدة جدا في الكشف عن وقائع المجتمعات الإسلامية المغربية، و الصحراوية اجتماعيا واقتصاديا، ويمكن للباحثين استغلال ما احتوته من معلومات قيمة، إذا ما أحسنوا فرز المادة التاريخية و الأثرية التي تحتويها النوازل الفقهية، ومن ثم يمكن توظيفها توظيفا منهجيا علميا.

لذا فكتب الفقه والنوازل تعد من أهم المصادر التي تفيد الباحث، في شتى المجالات التاريخية والأثرية والحضارية، ومن بين أهم المؤلفات الفقهية والتي تعد مصدرا هاما من مصادر الفقه الإسلامي في مجال العمران نذكر كتاب، "القسمه وأصول الأرضين" لمؤلفه أبو العباس احمد الفرستائي (ت504هـ/1110م) وهو أحد أعلام المذهب الإباضي. وتكمن أهمية كتابه أنه أحد مؤلفات المغرب الإسلامي القليلة التي عننت بموضوع العمارة الإسلامية من وجهة نظرة إسلامية خالصة في البيئة الإباضية خلال القرن الخامس الهجري حيث تحدثت عن أنماط العمائر الصحراوية والمعروفة باسم القصور في الجزء الرابع من كتابه. بالإضافة إلى كلامه عن مجموع المسائل حول موضوع المياه في الجزء الخامس وتكلم أيضا عن مسائل الأرض والغراسات والمشاعات في الجزء الثامن (الفرستائي، 1997) وبالجملة فهو كتاب توثيقي لعمل ميداني، خاصة وأن الفرستائي تولى بنفسه حل مختلف النزاعات التي كانت تدور حول مشكل المياه بواحات أريغ وميزاب. وهو يستند في مختلف أحكامه التطبيقية إلى ما كانت عليه العادة في التعامل، وفق رؤية إسلامية. ومن بين أهم كتب الفقه والنوازل التي ارتبطت بالغرب الإسلامي نجد كتاب المدونة للإمام سحنون بن سعيد التنوخي وهو دعامة للمؤلفات المالكية، غير أن الإشارات التاريخية في هذا المؤلف نادرة. إلا أننا

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

نستطيع أن نفيد منه حول مسائل الزراعة والمياه وهي من أكثر القضايا الاجتماعية التي نزلت بنقلها على الأحكام الشرعية في مجتمع البادية (سحنون بن سعيد، 1986: ج3).

وأما كتاب "رياض النفوس" لأبي بكر المالكي المتوفى (544هـ) (المالكي، 1983: ج

1، 2)، ورغم المعلومات القليلة التي نستخلصها من هذا الكتاب، إلا أنه يساعدنا في رسم صورة تقريبية للعلاقات المذهبية والتجارية السائدة في تلك الفترة، فيما يخص المدن الصحراوية.

ومن كتب النوازل والتي كانت أكثر التصاقا بالواقع نجد "جامع مسائل الأحكام" لأبي القاسم

البرزلي (ت 841هـ/1437) (البرزلي، دون تاريخ، الجزء 04) جاء شاملا لعدد من القضايا الاجتماعية

والاقتصادية وهي مقترنة في الغالب بالممارسات اليومية والعادات والأعراف. ونفس الشيء بالنسبة

لكتاب "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" لأبي العباس

أحمد الونشريسي (ت 914هـ/1508م) (الونشريسي، 1981: ج08) من حيث القضايا التي تناولها

سابقه. فهو موسوعة ضخمة تناول فيها جميع فتاوى بلاد المغرب والأندلس خلال تسعة قرون، من

خلال تناوله لقضايا متعددة في شكل نوازل أو فتاوى أو مسائل في مواضيع شتى مثل:

- استعمال المياه وطرق توزيعها، كما يشير إلى مصادر هذه المياه: الآبار والواديان

والفقارات. وفي المجموع تظهر هذه النوازل بصيغة سؤال يطرح المسألة كما وقعت في زمان ومكان

محددين، وجواب يقدم حكما شرعيا، ويحاول التخلص من الخاص إلى العام. وهو ما مثل المنهج

المعاكس لتمشي المؤرخ الذي ينطلق من العام للوصول إلى حالة واقعية (حسن محمد، 2003: 09)

وهكذا تظهر فوائد النوازل الفقهية في التعرف على أحوال المجتمع بالمغرب الإسلامي، لما توفره من

أسئلة تتعلق بقضايا مختلفة مرتبطة بالحياة الدينية والروحية والعلمية لمجتمع الحقبة المدروسة.

5- المصادر الأثرية:

يعد استغلال المصادر المادية المتمثلة في ما تبقى من مخلفات، وآثار ومنشآت اقتصادية

واجتماعية ودينية وثقافية كالقصور والمساجد ومكتبات.. الخ من المصادر التي لا يمكن الاستغناء

عنها، في موضوعنا هذا. خاصة وان بعض هذه المنشآت ما تزال قائمة، تحتفظ بكتابات أثرية

منقوشة تؤرخ لها، ولوحات وتحف ومخطوطات ووقفية متنوعة، تفيدنا في دراسة المجتمع من جميع

جوانبه، وتصحح ما أهمله المؤرخون سهوا أو عمدا. ومن بين هذه المصادر الأثرية نجد:

أ-الكتابات الأثرية: بشقيها التذكاري و الشاهدي، وما احتوته من أسماء وألقاب ووظائف وصيغ

وإشارات وتواريخ وهي منتشرة كثيرا في صحرائنا بالزيبان ووادي ريف ووارجلان وميزاب وتوات وأدرار

وتعتبر من أهم المصادر بالنسبة المهتمين بهذا المجال.

ب-الوقفيات: أو وثائق التحبب وهي ما تزال محتفظة بشكلها، ومحتواها كما هو الحال بالنسبة

للخزائن الكثيرة المنتشرة في صحراء الجزائر. وتعتبر الوقفيات هي الأخرى من المصادر الأثرية ذات

جمال عناق

القيمة العلمية الهامة، المرتبطة بعدة جوانب دينية واجتماعية واقتصادية. لأنها ورغم الموضوع الذي أوقفت أو حبست له تبقى تزخر بمعلومات مفيدة وقد تكون أحيانا نادرة قد نعيد من خلالها قراءة جديدة لبعض الأحداث التاريخية للمنطقة (بن قرية صالح وآخرون. 2007: 26-27) والواقع فإن حصيلة الحفريات والأبحاث الأثرية كانت متواضعة، إذ أخفقت في كشف الحلقات الغامضة من تاريخ المنطقة نظرا لضحالة ما وصل إليها من شواهد مادية. إن وضعية التراث المادي أو الأركيولوجي في تدهور كبير كما يعلم الجميع، لأسباب طبيعية وبشرية بالإضافة إلى شح المصادر كما سلف القول وغياب شواهد ذات قيمة أثرية تمكن من استتطاق الماضي، مما يفسر عزوف الدارسين في هذا المجال عن القيام بحفريات، أو حتى بأسفار أثرية في القصور الصحراوية. فقد بقي تدخل الأركيولوجيا بها محدودا، أمام ما وصل إلينا من عناصر التراث المادي في الأقاليم الصحراوية.

-المبحث الرابع: نقد المراجع العربية والأجنبية:

1- المراجع العربية:

إن الكتابات والدراسات الجادة لهذا التراث، والتي يغلب عليها الطابع العلمي، في مجملها ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، حيث اشتملت دراسات مستوفية لكثير من جوانب الحياة في منطقة الصحراء، والتي نشرت من طرف المؤسسات المهمة بالدراسات والبحوث التاريخية والصحراوية. وهناك بعض المراجع الأجنبية والمحلية خاصة منها الإباضية التي خصصت مجالا واسعا للتكلم عن وارجلان وميزاب ونفوسة ولعل أهمها:

غصن البان في تاريخ وارجلان للشيخ اعزام الحاج إبراهيم (ت1965) حيث تحدث فيها عن وارجلان مستعينا بوثائق كانت عنده. وقد تأثر به الشيخ علي يحي معمر الليبي النفوسي وألف كتاب الإباضية في الجزائر متحدثا عن تاريخها خاصة في وارجلان ووادي ميزاب ويعد الجزء الثاني من كتاب الأزهار الرياضية من المراجع المهمة التي تفيد الباحث حيث تعرض إلى ذكر المدن القديمة الموجودة على طريق القوافل (بوعصبانة. 1992: 11) كما يعتبر كتاب "تاريخ المغرب الكبير" في جزئه الثالث للمؤرخ علي دبوز من المراجع المفيدة لكن طغيان الأسلوب الأدبي قد أثر على الجانب الأكاديمي فيما تضمن من معلومات. كما أن كتاب "تاريخ المغرب وحضارته" لحسين مؤنس يعتبر أحد المراجع العربية التي تتكلم عن الدور الحضاري لحواضر الصحراء. ومن المراجع الحديثة المفيدة أيضا كتاب "أبحاث ودراسات في تاريخ وأثار المغرب الإسلامي وحضارته" لصاحبه صالح يوسف بن قرية حيث تناول فيه مسائل وقضايا وأبحاث تاريخية وأثرية خصوصا في الفصل الثالث حيث تناول فيه العمران الصحراوي إشكالية الدراسة والمنهج (بن قرية. 2011: 409-429) أيضا هناك كتاب "المدينة في العصر الوسيط-قضايا ووثائق من المغرب الإسلامي - تأليف ثنائي لعبد الأحد

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

السبتي وحليمة فرحات حيث تم التركيز فيه على المدن والحواضر الصغيرة وماضيها حيث أعطانا هذه الكتاب لوحات اقتصادية ونماذج اجتماعية كانت سائدة في الحواضر كسجلماسة واغمات. وفي مجمل هذا الكتاب هو يتكلم عن المدينة في المغرب الأقصى رغم تعميم الكتاب لدراسته لموضوع المدينة في العصر الوسيط بالمغرب الإسلامي (عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات. 1994: 97-99) أيضا كتاب "الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي" لمؤلفه محمد عيسى الحريري وهو كتاب أكاديمي جمع معلومات شتى من المصادر والمراجع، حيث نستفيد منه في عنصر علاقات تيهرت مع مختلف الحواضر الصحراوية خاصة في شتى المجالات (محمد عيسى الحريري. 1987: 206-210) ونفس الشيء يقال عن كتاب العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، لجودت عبد الكريم يوسف وهو عمل أكاديمي مهم خاصة في الفصل الخامس لأنه اهتم بالجانب الاقتصادي لعلاقات تاهرت بمدن الصحراء كسجلماسة وبلاد السودان (جودت. 1984: 224-233) ومعالم الحضارة الإسلامية بوارجلان تأليف عمر سليمان بوعصبانة وهو في الأصل عمل أكاديمي نال على إثره درجة الماجستير سنة 1412هـ / 1992م. من جامعة الجزائر حيث استقصى المعالم التاريخية والحضارية لوارجلان في العصر الوسيط. (بوعصبانة. 1992: 11).

وأما كتاب "موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية" المؤلفه حساني مختار فهو عبارة عن موسوعة تاريخية عن ثقافة المغرب الأوسط، وهذه الدراسة تتألف من 3 أجزاء، يهمنها منها الجزء الثالث والذي تناول فيه مدن الجنوب الجزائري، متحدثا عن تاريخها وأصل تسميتها ومظاهرها العمرانية وسكانها والأحوال السياسية والاقتصادية. ورغم الجهد المبذول لصاحبه في جمع النصوص، والمعلومات التي تخص المدن الجزائرية في العصر الإسلامي، إلا أن العمل كان ناقصا توثيقا وتخطيطا وخريطة. وإضافة نذكر كتاب أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية، لسعد عبد الكريم شهاب وهو كتاب تناول بالتحليل لشروط العمارة الصحراوية وكذا تناول في الباب الرابع دراسة مقارنة بين العمارة التقليدية الباقية في مصر ونظيراتها في شمال إفريقيا والجزيرة العربية. (سعد عبد الكريم شهاب. 2009: 193-267) وأما كتاب "الصحراء الكبرى، مدن و قصور" وهو عبارة عن جزأين لأحمد مولود أيده، فقد تناول فيهما قضايا تتعلق ببناء المدن والحواضر والعوامل التي أدت إلى خرابها ثم تحدث عن تعريف القصور الصحراوية ووظائفها. (ولد أيده احمد مولود. 2009: ج1) ومن بين المراجع المهمة أيضا كتاب "عمران سجلماسة"، دراسة تاريخية أثرية لحسن تاوشخت في جزأين تناول في الجزء الأول عند تقسيمه له إلى بابين، ما يهمننا نحن هو الباب الأول: عمران سجلماسة المحددات والمؤثرات تناول فيه دراسة المجال ومميزاته و ضوابط العمران وأحكام البنين. (تاوشخت. 2008: ج1، 27) وأما الجزء الثاني فهو يشتمل على باب واحد تناول فيه عمران

جمال عناق

سجل ماسة من المدينة إلى القصور.. (تاوشخت. 2008: ج2، 361) وعلى العموم فان هذه الدراسة كما قال صاحبها تقدم قيمة مضافة لمجال البحث الأكاديمي المتخصص. ومن بين الأعمال الأكاديمية الحديثة الغير منشورة التي تناولت بالدراسة للعمارة وال عمران الصحراوي نذكر رسالة ماجستير تناولت موضوع تطور أنماط السكن عند طوارق الأهقار " تاظروك أنموذجا" من تقديم الطالب كرزيقة علي من معهد الآثار جامعة الجزائر (كرزيقة. 2009) وهو موضوع أراد صاحبه- خاصة وانه احد أبناء هذا المجتمع- إماطة اللثام عن التراث المادي التاريخي والأثري الذي يحفل به هذا المجتمع الصحراوي من خلال إبراز أنماط السكن ومراحل تطور مجتمع الطوارق.

أما الدراسة الأكاديمية الثانية وهي رسالة ماجستير من معهد الآثار جامعة قسنطينة والموسومة ب" صنهاجة المغرب الأوسط" من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر" دراسة اجتماعية من تقديم الطالب: رضا بن النية (بن النية. 2006) فقد عالج فيها إشكالية مهمة وهي: التحولات الاجتماعية العميقة التي شهدتها القبيلة المغربية في ظل الظرفية الجديدة التي طرأت على المنطقة بعد الفتح الإسلامي، ولأن تمكن الطالب من التعمق في البحث ومحاولته تتبع كل أخبار هذه القبيلة إلا أننا تمنينا لو خصص لها فصلا لدورها الحضاري خارج مجالاتها في الأندلس والمشرق.

ومن رسائل الماجستير المهمة والموسومة ب" فقه العمارة السكنية بقصور منطقة الأغواط عين ماضي وتاويله أنموذجا" للطالبة جبار سامية تناولت فيه موضوع البيت الإسلامي وعلاقته بالدين الإسلامي الحنيف وهو يطرح العديد من الإشكاليات في مجال العمارة وال عمران الإسلاميين، خاصة وأن المسكن قد ارتبط في تخطيطه بأحكام فقه العمارة التي أقرها القرآن الكريم والسنة النبوية، رغم ما يؤخذ عليه من تأثير بالعالم الخارجي.

وتطرح صاحبة الموضوع، العديد من الإشكاليات والتساؤلات منها:

- ما معنى فقه العمارة السكنية؟

- ما هي الأحكام المستنبطة من فقه العمارة السكنية؟

- ما مدى تطبيق أحكام فقه العمارة السكنية على المساكن في القصور الصحراوية؟ إضافة إلى

ذلك ما هي العوامل التي وجهت تنظيم المساكن؟

والهدف من اختيار منطقة الأغواط كنموذج دراسة يكمن في محاولة الطالبة التعريف بآثارها، ومن جهة أخرى فهي تعد من أبرز الأمثلة السكنية التي طبقت فيها أحكام وقوانين فقه العمارة السكنية، وهي بتعدد قصورها وتشابهها من حيث التخطيط وطريقة البناء تثبت على أنها لم تأتي بهذه الطريقة بشكل عفوي بل كان هناك قانون وعوامل تتحكم فيها وفي تنظيمها وما زاد على تأكيد هذا

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

النظام من البناء هو تشابه القصور في مختلف المناطق الصحراوية الجزائرية. (جبار. 2011) ونختم قراءتنا لبعض هذه الدراسات الأكاديمية برسالة ماجستير قدمها الطالب: محمد مرزاق والموسومة بـ"البيئة وأثرها في توجيه العمارة المحلية (إقليم تيديكلت الشرقية بولاية تمنراست نموذجا)" وهي دراسة أثرية تناول فيها الباحث اثر البيئة المحلية في تحديد عناصر وخطط البناء وهي ترتبط ارتباطا بمعتقد بيئي وثقافي وأخلاقي خاص. وكان اختيار الباحث لمجال الدراسة وهو إقليم تيديكلت على اعتباره أحد النماذج الهامة التي تأثرت عمائره بالعوامل البيئية في نشأتها وفي توجيه مبانيها وفي توزيع كتلتها المعمارية، وكذلك لأن الدراسة تطلبت منه وجود شواهد عينية في الميدان وهذا الإقليم المختار للدراسة كما يقول الباحث يزخر بالشواهد المعبرة عن دور البيئة وتأثيرها على العمارة والتعمير.

(2) - نقد المراجع الأجنبية:

ظهرت الكثير من المراجع والأبحاث الأجنبية، خاصة الفرنسية منها، معتمدة في معلوماتها على المصادر الإسلامية، أو رحلاتهم وتجوالهم في الأقاليم الصحراوية. واختاروا منها الحقائق التي استهوتهم، ثم أخضعوها لمنهجهم في التحليل وأسلوبهم في التفكير، وجاءت بذلك ممثلة لاتجاهاتهم وخدمة لسياسات بلدانهم. وقد بدأت هذه المؤلفات في الظهور مع تواجد الاحتلال الفرنسي أي منذ القرن 19م والتي كان أصحابها إما عسكريين أو إداريين أو هواة الرحلات. وكانت قراءاتهم لتراث الصحراء في مجمله هو عبارة عن دراسات وصفية قديمة أخذت شكل تقارير عسكرية وجغرافية وسياحية يعود أغلبها إلى بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة أي مع بداية النصف الثاني من القرن 19م، اتسمت بالسطحية في معالجتهم لهذا الموضوع معتمدين على مشاهداتهم وتجاربهم الشخصية ولم ترق إلى العمل الأكاديمي. وربما من أوائل هذه الكتب نجد:

Daumas. (M), Le Sahara Algérienne 1845.

Dubocq. (M), Ziban et de L'Oued R'ir 1852 .

Ville. (M), Voyage d'exploration dans les Bassins du Hodna et du Sahara, Paris, 1865.

Mercier (E). histoire d'établissement des arabes dans l'Afrique Septentrionale, 1875.

لكن ومع القرن العشرين ظهرت الكثير من المؤلفات الأجنبية الأكاديمية المتخصصة بشتى اللغات. وكان من بينها:

الدراسة التي قدمها (Martin. A) عن المناطق الصحراوية بإقليم توات وقورارة وتيديكلت في عام 1908، وهي أول محاولة لتصنيف القصور غير انه لم يعطي الأبعاد التقنية للمباني أهمية في دراسته (بن قربة. 2011: 449) ومن بين أهم المؤلفات التي لاقت رواجاً كبيرة بين الباحثين نجد كتاب الصحراء لصاحبه (Gautier. E.F) سنة 1928 حيث خصص حيزاً كبيراً للطرح التاريخي

جمال عناق

للمدن الصحراوية منذ القديم. ولنا نموذج على إحدى الدراسات التي قدمها في المجلة الإفريقية وهي من جزأين عن سجل ماسية وتافيلالت (Gautier. E.F.1867;233-274) كما تعد دراسة تيودور مونو سنة 1948 ودعوته إلى انجاز أعمال تهتم بالتراث المعماري الصحراوي (Monod,Th.1947.T71 ;18) من أهم الدراسات في العمران الصحراوي بغرب الصحراء. وأما ريمون موني الذي ألف كتاب يتحدث عن العمارة الصحراوية فهو من أوائل من استرعى اهتمامهم بالبحث في هذه العمارة خاصة المعالم الدينية وهذا بوضع المخططات لبعض مساجد هذه القصور (Mauny,R.1950.N4 ;1-8) ويعد أيضا (ج.مارسي) من الذين كتبوا عن العمارة الإسلامية وعمارة المغرب الإسلامي بما فيها العمارة الصحراوية وهو بحق كتاب مهم لأهل التخصص.

وكذلك كتاب "مخازن الحبوب المنزلية في منطقة قورارة" للفرنسي: (كابو راي) أحد الكتب المهمة التي ناقش فيها الكيفية وطرق الحفاظ على المحصول الزراعي في الصحراء وتخزينه في حجرات داخل المنازل وفي مطامير أرضية، وتحدث عن قصبة مهلال التي بنيت فوق تلة صحراوية جنوب مدينة تيميمون وقد زودت بخندق، واعتبرت القصبة مخزنا لجماعة القصر. وأما عن (Montagne.R) فقد بحث عن أوجه الشبه والقربية بين بدو الجزيرة العربية والصحراء الكبرى في كتابه: "حضارة الصحراء: بدو الشرق وبدو إفريقيا" حيث اعتبر أن صحراء الجزيرة العربية هي مهد الثقافات الصحراوية التي انتشرت في الصحراء الإفريقية. (Montagne.R.1947 ;22)

كما تعتبر الدراسة التي قدمها (Quenard) الذي وضع تميظا جديدا للقصور، منطلقا من معطيات تقنية لكل واحدة منها في كتابه الأبحاث التاريخية في واحات توات وقورارة (بن قرية صالح، 2011: 449) وعن كتاب الواحات الصحراوية لمآزتن، فقد تناول فيه الطريقة لتخزين المحصول في القلاع الحصينة، وقد تساعل عن الفرق بين القصبة التي تسكنها عائلات ميسورة والقصر الذي تسكنه الطبقات الفقيرة وقد أعطى أمثلة حسية عن ذلك. وبالنسبة للدراسة التي قدمها (Coyne.A) في المجلة الإفريقية سنة 1879م حول منطقة وادي ميزاب حيث تكلم عن الإطار التاريخي للمنطقة وظروف تواجد الاباضية في الإقليم (Coyne. A ;1879.V23,174) ثم حاول تحديد أهم المدن التي أقيمت في وادي ميزاب مثل: بن يزقن، ريان، قرارة، العطف، نبورة، مليكة، التي تعد أهم المدن لتمييزها بالتنظيم العرقي لا يسمح لأي أجنبي دخولها Coyne. (A ;1879.V23,184-186) بالإضافة إلى الرحلة التي قادته إلى الإقليم الصحراوي أدرار حيث تحدث عن مسالكها وطرقها وقصورها والقوافل التجارية وقوافل الحج التي تمر عليه بالإضافة إلى وصفه لأهم الآبار والوديان ومدن الإقليم كنانوشارت، شنقيطي، ودان تندوف، تيميمون. (La revue (Africaine.1889 ;V33 Et 1890.V34).

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

وأما كتاب "المباني القديمة في منطقة وادي سوف" لـ: (J. C Echanllier) فقد تحدث فيه صاحبه عن المباني القديمة في وادي سوف الجزائرية من حيث البناء المستعملة (مثل تمنشت وسعف النخيل)، و تصميم القباب التي هي من أهم المعمارية بالمنطقة كذلك تعرضه للمقاييس المعتمدة في بنائها، كما أعطى الباحث في دراسته هذه عدة أشكال لهذه المباني.

وقدم الملازم الفرنسي (Mangin.E) في المجلة الإفريقية دراسة مستفيضة وهي من ثلاثة فصول حول تاريخ واحات الأغواط وهي تتدرج في العموم ضمن التقارير العسكرية وبذلك فهي لا تخلو من بعدها الاستعماري (Mangin.E. , 1893 ;V37,355)

كما قد قدم الملازم (Cancel) أحد أعضاء الفرقة الصحراوية بتوات دراسة للهجة واحة تلبالة بالإقليم وقد استنتج أن هذه اللهجة المحلية احتمالا قد تكون أصولها جاءت مع العبيد من تمبوكتو (Cancel.L.1908 ;V52,P302) ونفس الشيء لما درس الملازم (Derendinger.R) اللهجة العربية في تشاد و التي أوعزها كنتيجة لاستقرار قبائل عربية وكنتيجة لتزاوج العرب بالنساء الزنجيات ما أدى إلى تغيرات وتحولات عميقة في السلالة الاجتماعية.

(Derendinger.R.1912 ;V56,P339) في حين قدم الملازم (Gognalons.L) في مقاله المظاهر الاحتفالية الرئيسة الدينية والموسمية والمحلية التي كان يقيمها الرواغة المستقرين بواحة ورقلة مثل: عيد عاشوراء والاحتفال بفصل الربيع والأعراس المحلية كاحتفالية لالة منصورة.(Gognalons.L ;P86) والجدير بالملاحظة ورغم جدية هذه الأبحاث والدراسات الأجنبية في شتى المواضيع والمتعلقة بالتراث الصحراوي. لكن ارتباطها زمانيا ومكانيا بالفترة الاستعمارية منذ ق 19 و 20م قد يخل بالهدف الأسمى لهذه الأعمال الخاصة بتاريخ المناطق الصحراوية. فكتاب عهد الاحتلال قد يبدون أحكاما مستبعدة ومستندة على أعمال زملائهم الآخرون وبذلك لإثبات مصداقية أعمالهم يهيمون القارئ بإحالتهم في الهوامش أعمال غيرهم، فمؤرخ القديم يحيل على مؤرخ الوسيط ودارس الحديث على باحث ما قبل التاريخ والمتخصص في الجغرافيا يحيل على دارس التاريخ وهكذا دوليك(العروي.2007: 27-28).

جمال عناق

النتائج والتوصيات:

(1)-النتائج:

إن البحث في ميدان الدراسات الصحراوية، والذي لا يزال في بداياته يحتاج إلى بذل الكثير من جهد أبنائه وانجاز البحوث التاريخية والمسح والتقيب الأثري، للإجابة عن مختلف الإشكالات التاريخية والأثرية للتراث الصحراوي المدروس، والذي حاولنا أن نلقي عليه الضوء من خلال هذه الدراسة حيث أمكننا من تحقيق مايلي:

1- إن نشأة هذه القصور والمدن الصحراوية ارتبطت بجملة من العوامل والظروف عند نشأتها وهذا بعوامل أمنية وتجارية ومذهبية. فقد بنيت لتكون محطات استراحة وإقامة مؤقتة للقوافل التجارية، وبعضها الآخر وجد لأغراض عسكرية دفاعية في ظل ظروف طبيعية وبيئية صعبة زادها البعد عن العواصم والمدن المناوئة وظفت واستخدمت فيه الصحراء كعامل تحصيني واستراتيجي ليسمن السهل على الجيوش اجتيازه.

2- إن عامل الطبيعة -الصعب والمتنوع- والذي تحصنت به هذه القصور عند تأسيسها ونشأتها كان هو أيضا سببا لاندثارها وهجرة أهلها عنها في أحياب كثيرة ومثلنا على ذلك مدينة سدراتة الصحراوية.

3- تعددت أسباب الصمت وندرة المصادر حول الحواضر والقصور الصحراوية وقد أرجعنا سببه لمعطيات تاريخية سابقة للعهد الإسلامي كعدم انتشار الكتابة في العصور القديمة بشمال إفريقيا على نطاق واسع وإجهاض الاحتلال الروماني لأي تجربة حضارية حاولت البروز والظهور على مسرح الأحداث، إلى جانب هذه المعطيات فهناك جانب المعطيات الدينية فإن المؤرخين المسلمين أهملوا تتبع أخبار المنطقة في الفترة السابقة على الفتح باعتبارها فترة شرك وجاهلية مذمومة، وكذا لما قد يثيره الحديث عن هذه الفترة من حساسيات من شأنها أن تهدد رابطة "الأخوة الدينية" التي بنيت عليها علاقات العرب الفاتحين بالشعوب المفتوحة. ومسألة قلة الدراسات حول هذا الموضوع ليس مأخذ يؤاخذ عليه الأقدمون بل حتى المحدثون فقد لاحظنا وللأسف أن قصور وادي ريغ، و وادي ميزاب، وبشار وتوات و تيدكلت و قورارة بصحراء الجزائر تعتبر من بين المعالم الأثرية التي لم تحض هي بدورها بأبحاث ودراسات من قبل الباحثين والمهتمين بهذا الحقل من المنشآت البشرية في شتى المجالات كمنشآت الري والزراعة والعمارة الخ..

4- بإمكاننا الاستناد على طرق بحث ومناهج بديلة قد تملأ هذا الفراغ الوثائقي والمصدري كالبحث الأركيولوجي والانثروبولوجي واستخدام المنهج الإحصائي الكمي للإجابة عن بعض القضايا الحاسمة في تاريخ الحواضر الصحراوية كمسألة الموقع وتاريخ

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

التأسيس... و الذي يشكل عائقاً جوهرياً أمام تطور البحث في تاريخ القصور الصحراوية، ويحول دون تكوين تصور علمي عن مرحلة التاريخ القديم بها.

(2)-التوصيات:

وختاماً وفي ضوء النتائج التي وصلت بها الدراسة، فإن الباحث يوصي بمايلي:

- 1- محاولة إيجاد مقارنة متعددة الاختصاصات، قادرة على حل ألغاز شتى، وتوضح الصورة الحقيقية لتاريخ الحواضر والقصور الصحراوية من خلال معرفة عوامل نشأتها وأسباب اندثارها لتساعدنا في كيفية إحيائها.
- 2- الاستثمار المكثف للإمكانيات الهامة التي توفرها الوثائق المحلية خاصة المخطوطات التي تزخر بها خزائن المكتبات سواء أكانت خاصة أم عامة.
- 3- الاستثمار المكثف للبحث الأركيولوجي الذي بإمكانه أن يعوض غياب الوثائق والنصوص المكتوبة، لفك طلاسم بعض القضايا الحاسمة في تاريخ القصور الصحراوية كمسألة الموقع وتاريخ التأسيس...

جمال عناق

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: - المصادر:

- الطنجي محمد بن عبد الله ابن بطوطة ، (2002) تحفة النظار غرائب الأمصار، تقديم، طلال حرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت،.
- عبيد الله بن عبد الله ابو القاسم المعروف بابن خرداذبة (1889) المسالك والممالك " مطبعة بريل (طبعة حجرية)، لندن.
- الإدرسي الشريف، (1989) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م1، م2، ط1، عالم الكتب، بيروت.
- البرزلي أبو القاسم. (دون تاريخ)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين و الحكام، ت: محمد لحبيب الهيلة ، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- البكري ابو عبيد، (2012) المسالك والممالك، ت زينب الهكاري، مطبعة رباط نات، الرباط.
- البكري ابو عبيد،(2003) المسالك والممالك، ت جمال طلبة، المجلد الثاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،
- التتوخي سحنون بن سعيد (1986) ، المدونة الكبرى للإمام مالك بن انس الأصبحي رواية الإمام سحنون بن سعيد التتوخي عن الإمام عبد الرحمان ابن قاسم، الجزء 03 ، نشر دار الفكر بيروت.
- الحموي ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (1977)، معجم البلدان ، المجلد1، دار صادر، بيروت.
- الحميري محمد بن عبد المنعم الصنهاجي(1984) ، الروض المعطار في خبر الاقطار. ت احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت.
- الزهري، ابي عبد الله بن ابي بكر (دون تاريخ)، الجغرافية، ت محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
- العمرى بن فضل الله ، شهاب الدين احمد بن يحيى(2002) مسالك الأبصار في ممالك الامصار ت حمزة احمد عباس، السفر الرابع، ط1، المجمع الثقافي، ابو ظبي.
- الفاصي الحسن بن محمد الوزان (1983)، وصف إفريقيا، ت محمد حجي ،محمد الأخضر، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

- الفرسطائي ابو العباس احمد بن محمد بن بكر، (1997)، القسمة وأصول الارضين، تحقيق بكير بن محمد-صالح ناصر، ط02، جمعية التراث،القرارة،الجزائر .
- القيرواني الرقيق (1994) تاريخ إفريقية والمغرب، محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجاني للطبع والنشر، القاهرة.
- المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد ، رياض النفوس، ت بشير البكوش، ج 1، 2، ط01، دار الغرب الاسلامي،بيروت،.
- المراكشي ابن عذارى (1983). "البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب" ت:ج س كولان-أل ل بروفنسال، ط03، ج1، دار الثقافة،بيروت.
- المراكشي عبد الواحد (1889)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب" ، طبعة حجرية، مطبعة بريل، ليدن.
- المغربي ابن سعيد ، (1970) كتاب الجغرافيا، ت: إسماعيل العربي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .
- المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري(1991)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- النصبي، ابو القاسم ابن حوقل " (دون تاريخ) ، صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- الونشريسي أبي العباس احمد، (1981)المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب" ، ت محمد حجي ، الجزء08، دار الغرب الإسلامي،بيروت.
- اليحصبي القاضي عياض ابي الفضل (1998) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ت محمد سالم هاشم، ج1، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت.
- اليعقوبي احمد ابن ابي يعقوب اسحاق (دون سنة) كتاب البلدان ، ت محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- عبد الرحمن ابن خلدون ، (2000)المقدمة من تاريخ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.

جمال عناق

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (2001)، فتوح مصر والمغرب، ت عبد المنعم عامر، ج01-02 دار الذخائر، القاهرة،
عماد الدين اسماعيل بن محمد ابو الفدا (1840)، تقويم البلدان، ت رينود، م.ك. ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس..

محمد بن احمد بن تميم أبي العرب. (1983) طبقات علماء افريقية وتونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

مؤلف مجهول، كاتب مراكشي (دون تاريخ)، الإستبصار في عجائب الأمصار، ت سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

ثانياً:-المراجع باللغة العربية:

بن قرية صالح وآخرون، (2007) تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر العربية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر.

بن قرية صالح، (2011) أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، دار الهدى، الجزائر.

بوتشيش عبد القادري،(1994) تاريخ المغرب الإسلامي ، ط01، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت..

جودت عبد الكريم يوسف،(1984) العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

حسن محمد، (2003) الجغرافية التاريخية لافريقية ، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت.

سعد عبد الكريم شهاب،(2009) أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية

عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات،(1994) المدينة في العصر الوسيط ، ط1،المركز الثقافي العربي، بيروت.

العروي عبد الله، (2007) مجمل تاريخ المغرب، ط1،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

غير ستر جورج، (1961) الصحراء الكبرى، (ت خيرى حماد)، ط01، المكتب التجاري للطباعة،(د.مكان الطبع).

لحسن تاوشخت،(2008) عمران سجلماسة، ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

قراءة نقدية للكتابة التاريخية حول حواضر وقصور إقليم صحراء المغرب الإسلامي

محمد حسن، (1999) المدينة والبادية بأفريقية، ج1، جامعة تونس الأولى، تونس.
محمد عيسى الحريري(1987) الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، دار القلم للنشر و التوزيع، ط3، الكويت.

ولد أيده احمد مولود، (2009) الصحراء الكبرى، ج1، دار المعرفة، الجزائر.

ثالثاً:-المراجع باللغة الأجنبية:

- Coyone. A, Le Mzab, La revue Africaine V 23,Année 1879.
Gognalons.L, fêtes principales des sédentaires d'Ouargla (Rouagha).
La revue Africaine V 11,Année 1867.
Lieutenant Cancel, Dialect de tabelbala , La revue Africaine,V52,Annee 1908.
Lieutenant(R). Derendinger, Notes sur le dialecte arabe du Tchad, La revue Africaine, V56,Année 1912.
Mangin(E),Note sur l'histoire de Laghouat, V37, 1893.
Masqueray.Cite par: Gautier. E.F.Les Siècles obscurs du Maghreb, Paris.1927.
Mauntagne ,R, La civilisation du désert : Nomades D'orient Et l'Afrique ,Paris ,1947.
Mauny Raymond, Architectures Saharienne d'autrefois ,Bulletin de Correspondances Saharienne,1950,N4
Monod(Théodore),Sur Quelques construction anciennes au Sahara occidental, société géo-archéologie D'oran,T71,1948,
PlanhoL.Xavier,Les Fondements Géographique de L'histoire de L'islam ,PARIS.1968.

رابعاً:-المجلات والمذكرات الجامعية:

- بن النية رضا، (2006) صنهاجة المغرب الاوسط، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة منتوري قسنطينة. الجزائر.
بوعصبانة عمر سليمان،(1992) المعالم الحضارة الإسلامية بوا رجان،(رسالة ماجستير منشورة)،جامعة الجزائر، الجزائر.
سامية جبار،(2010) فقه العمارة السكنية بقصور منطقة الأعواط عين ماضي و تاويلة أنموذجاً،(رسالة ماجستير غير منشورة)معهد الاثار، جامعة الجزائر، الجزائر.

جمال عناق

عمارة علاوة، موساوي زينب، (2010) مدينة الجزائر في العصر الوسيط، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 10، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.
كرزيكة علي، (2009) تطور انماط السكن عند توارق الآهقار " تاظروك انموذجا" (رسالة ماجستير غير منشورة)، معهد الآثار، جامعة الجزائر. الجزائر.
مزراق محمد، (2009) البيئة وأثرها في توجيه العمارة المحلية " إقليم تيديكلت الشرقية بولاية تمنراست نموذجا" دراسة أثرية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر.
نور الدين صادق، صعوبات التأريخ المحلي بالمغرب: عنوان الموقع الإلكتروني: <http://perso.menara.ma/~noursadiq/ecrturhistor1.htm>